

## ما العمل الاجتماعي؟ (دراسة لجونز، سوزانا)<sup>1</sup>

سوسان الحسين

طالب باحث في سلك الدكتوراه تخصص علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير، المغرب،  
وجامعة كاسل بألمانيا

البريد الإلكتروني: lahoussine.sousan.61@edu.uiz.ac.ma

<https://orcid.org/0009-0000-4360-9244>

حموش ابراهيم

مختص اجتماعي، طالب باحث في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير، المغرب

البريد الإلكتروني: Hammouchbrahim96@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0007-4574-2533>

### الملخص

العمل الاجتماعي هو تخصص أكاديمي ومهنة تطبيقية تُعنى بدراسة السلوك الإنساني في سياقه الاجتماعي، كما وتسعى إلى التدخل المهني من أجل تحسين رفاه الأفراد والجماعات والمجتمعات. يُمارس العمل الاجتماعي في مجالات متعددة تشمل المدارس، والمستشفيات، وعيادات الصحة النفسية، ومراكز حماية الطفولة، ومؤسسات رعاية المسنين، والمنظمات الحكومية وغير الحكومية. ويتمثل الهدف الجوهرى لهذه المهنة في تعزيز العدالة الاجتماعية، وتحسين الشروط الاجتماعية، وتمكين الفئات التي تعيش أوضاعاً هشة، من خلال ممارسات وتدخلات مهنية وسياسات اجتماعية أكثر إنسانية. يحتفظ العمل الاجتماعي بخصوصيته على الرغم من التداخل المعرفي بينه وبين كلٍّ من علم الاجتماع وعلم النفس، من حيث تركيزه على العلاقة التفاعلية بين الفرد وبيئته الاجتماعية، واعتماده على تدخلات مهنية تأخذ بعين الاعتبار التعدد الثقافي والاختلافات المجتمعية. كما يتأطر العمل الاجتماعي ضمن منظورات أيديولوجية متعددة، أبرزها المحافظة، والليبرالية، والراديكالية، التي تعكس تنوعاً في فهم أسباب المشكلات الاجتماعية وسبل معالجتها.

**الكلمات المفتاحية:** العمل الاجتماعي، العاملون الاجتماعيون، الرفاه الاجتماعي، العدالة الاجتماعية، الأيديولوجيا، الممارسة المهنية.

<sup>1</sup> هذا النص ترجمة عن الإنجليزية للدراسة المنشورة في : جونز، سوزانا. (2008). العمل الاجتماعي. في ويليام أ. داريتي الابن (رئيس التحرير)، الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (الطبعة الثانية، ص ص. 4525–4633). الولايات المتحدة: ماكملان ريفرنس.

Jones, Susanna. (2008). Social work. In W. A. Darity Jr. (Ed.), International Encyclopedia of the Social Sciences (2nd ed., pp. 4525–4633). Macmillan Reference USA.

## What is Social Work? (A Study by Susannah Jones)<sup>2</sup>

**Sousan Lahoussine**

PhD Candidate in Sociology, Faculty of Arts and Humanities, Ibn Zohr University,  
Agadir, Morocco, and University of Kassel, Germany  
Email: lahoussine.sousan.61@edu.uiz.ac.ma  
<https://orcid.org/0009-0000-4360-9244>

**Hammouch Ibrahim**

Social worker, Researcher in Sociology Faculty of Arts and Humanities, Ibn Zohr  
University, Agadir, Morocco  
Email: Hammouchbrahim96@gmail.com  
<https://orcid.org/0009-0007-4574-2533>

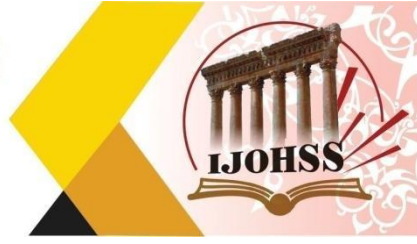
### ABSTRACT

Social work is an academic discipline and an applied profession concerned with studying human behavior in its social context. It seeks to provide professional intervention to improve the well-being of individuals, groups, and communities. Social work is practiced in diverse settings, including schools, hospitals, mental health clinics, child protection centers, elderly care facilities, and governmental and non-governmental organizations. The profession's core objective is to promote social justice, improve social conditions, and empower vulnerable groups through more humane professional practices and social policies. Despite the overlap in knowledge between social work and both sociology and psychology, social work maintains its distinctiveness by focusing on the interactive relationship between the individual and their social environment and by relying on professional interventions that consider multiculturalism and societal differences. Social work is also framed within multiple ideological perspectives, most notably conservative, liberal, and radical, reflecting a diversity of understandings regarding the causes of social problems and how to address them.

**Keywords:** Social work, social workers, social welfare, social justice, ideology, professional practice.

---

<sup>2</sup> Jones, Susanna, PhD, MSW, Associate Professor and BSW Program Coordinator, Department of Social Work, Long Island University, Brooklyn, NY, USA.



## تعريف العمل الاجتماعي وتمييزه عن التخصصات المجاورة SOCIAL WORK

يُعدّ العمل الاجتماعي<sup>3</sup> تخصصًا أكاديميًا<sup>4</sup> وممارسة مهنية في آن واحد، إذ يهتم، شأنه شأن باقي فروع العلوم الاجتماعية، بدراسة السلوك الإنساني داخل بيئته الاجتماعية. غير أنّ خصوصية العمل الاجتماعي تكمن في طابعه التدخلّي، حيث لا يقتصر على الفهم والتحليل، بل يسعى إلى إحداث تغيير فعلي في أوضاع الأفراد والأسر والجماعات والتنظيمات. ويُمارَس هذا التدخل في سياقات متعددة، مثل المدارس، والمستشفيات، وعيادات الصحة النفسية، ومراكز إيواء ضحايا العنف، ومؤسسات رعاية المسنين، إضافة إلى المنظمات الحكومية وغير الحكومية، والمهن الحرة، والمؤسسات المجتمعية المختلفة.

يتمثل الهدف الأسمى للعمل الاجتماعي في تعزيز الرفاه الاجتماعي<sup>5</sup> وتحسين مستوى الأداء الاجتماعي للأفراد، إلى جانب الإسهام في إحداث تغيير اجتماعي إيجابي من خلال تحسين الشروط الاجتماعية، وتطوير الممارسات المهنية، وصياغة سياسات اجتماعية أكثر إنسانية وعدالة، خصوصًا تجاه الفئات التي تعيش في أوضاع هشّة أو تعاني من الإقصاء الاجتماعي.

وعلى الرغم من وجود تداخل معرفي واضح بين العمل الاجتماعي وكلّ من علم الاجتماع وعلم النفس، فإنّ هذه التخصصات تختلف من حيث الأهداف والمنهجيات. فعلم الاجتماع يُعدّ تخصصًا أكاديميًا بالأساس، يهتم بدراسة البنى الاجتماعية، والتنظيمات، والمؤسسات، والعلاقات الاجتماعية، دون أن يكون بالضرورة نشاطًا مهنيًا تدخليًا. أما علم النفس، فينصبّ اهتمامه على دراسة السلوك الفردي والعمليات العقلية، وتشخيص الاضطرابات النفسية ومعالجتها. في المقابل، يسعى العمل الاجتماعي إلى التدخل عند تقاطع الفرد وبيئته الاجتماعية، مع التركيز على معالجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تؤثر في حياة الأفراد والجماعات.<sup>6</sup>

كما يولي العمل الاجتماعي أهمية خاصة للفهم المتعدد للثقافات<sup>7</sup>، ويأخذ بعين الاعتبار السياقات المحلية للمجتمعات، باعتبارها عناصر أساسية في تصميم التدخلات المهنية. ومن ثمّ، فإنّ العمل الاجتماعي لا يكفي

<sup>3</sup> تطرح ترجمة مفاهيم العمل الاجتماعي إلى العربية إشكالات دلالية، نظرًا لتاريخ تشكّل المفاهيم داخل سياقات غربية حديثة، ما يستدعي حذرًا منهجيًا لتفادي الإسقاط الثقافي أو الاختزال المفاهيمي. كما يثير نقل مفاهيم العمل الاجتماعي إلى سياقات ثقافية مختلفة تساؤلات حول مدى عالميتها، وحدود صلاحيتها خارج البيئات التي نشأت فيها.

<sup>4</sup> قمنا بترجمة مصطلح discipline إلى «تخصص أكاديمي» بدل «درس أكاديمي»، وذلك انسجامًا مع الاستعمال السائد في الأدبيات العلمية داخل العلوم الاجتماعية. فمصطلح discipline لا يشير فقط إلى مادة دراسية أو حقل تعليمي، بل إلى بنية معرفية مستقلة لها تاريخها، ومفاهيمها، ونظرياتها، ومناهجها، ومؤسساتها الأكاديمية والمهنية.

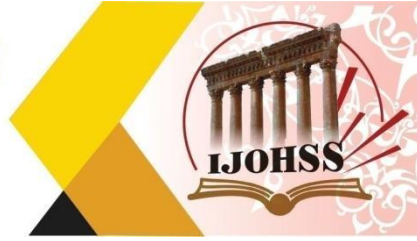
وتوظيف الكتابة لهذا المصطلح يهدف إلى تمييز العمل الاجتماعي عن باقي التخصصات الأكاديمية داخل العلوم الاجتماعية، والتأكيد على كونه حقلًا معرفيًا ومهنيًا قائمًا بذاته، وليس مجرد تطبيق عملي للسوسيولوجيا أو علم النفس.

<sup>5</sup> تمت ترجمة مصطلح well-being إلى «الرفاه»، وهو المصطلح الأكثر تداولًا في الأدبيات العربية المعاصرة. ويشير الرفاه إلى حالة شاملة من السلامة الجسدية، والنفسية، والاجتماعية، ولا يقتصر على غياب المرض أو الفقر، بل يشمل الشعور بالكرامة، والأمان، والقدرة على المشاركة الاجتماعية وتحقيق الذات.

ويُعد مفهوم الرفاه من المفاهيم المركزية في العمل الاجتماعي، إذ يشكّل الهدف النهائي للتدخلات المهنية والسياسات الاجتماعية.

<sup>6</sup> يؤدي العامل الاجتماعي دور الوسيط بين الأفراد والمؤسسات، حيث يعمل على ترجمة الحاجات الفردية إلى مطالب اجتماعية قابلة للإدراج ضمن السياسات العمومية، وفي المقابل يشرح للأفراد منطق المؤسسات وقواعدها. هذا الدور الوسيط يضع العامل الاجتماعي في موقع تفاوض دائم، يتطلب مهارات تواصل، ومعرفة قانونية، وحساسية ثقافية عالية.

<sup>7</sup> تؤكد الأدبيات المعاصرة على أنّ التدخل الاجتماعي لا يمكن أن يكون محايدًا ثقافيًا، إذ تتشكل مشكلات الأفراد وتصوراتهم للحل داخل أطر ثقافية محددة. لذلك، فإن تجاهل الخصوصيات الثقافية قد يؤدي إلى تدخلات غير فعالة أو حتى معاكسة لأهدافها، وهو ما جعل الكفاءة الثقافية مفهومًا مركزيًا في تدريب العاملين الاجتماعيين.



بتقديم خدمات مباشرة، بل يعمل أيضًا على تمكين الأفراد والجماعات، والدفاع عن حقوقهم، وتعزيز مشاركتهم الفاعلة في المجتمع.

## المنظورات الأيديولوجية في العمل الاجتماعي (المحافظ – الليبرالي – الراديكالي)

يُوجّه العمل الاجتماعي من خلال منظورات أيديولوجية متعددة، تُعدّ الإطارات الفكرية التي تُحدّد كيفية فهم المشكلات الاجتماعية وطبيعة التدخلات المهنية المناسبة لها. ومن بين هذه المنظورات، تُعتبر الأيديولوجيات المحافظة، والليبرالية، والراديكالية الأكثر شيوعًا وتأثيرًا في تاريخ وممارسة العمل الاجتماعي.

يرتكز المنظور المحافظ في العمل الاجتماعي على تحليل المشكلات الاجتماعية انطلاقًا من المستوى الجزئي (الميكرو)، حيث يتم التركيز أساسًا على الفرد أو الأسرة باعتبارهما وحدة التحليل الأساسية. ويهدف هذا التوجه إلى مساعدة الأفراد في التعامل مع صعوباتهم الشخصية، مع تحميلهم – ضمنياً أو صراحة – مسؤولية أوضاعهم الاجتماعية. ونتيجة لذلك، تميل هذه الرؤية إلى تفضيل الحلول الفردية والخاصة على حساب الحلول الجماعية أو السياسات العامة، كما تقلل من شأن العوامل البنوية والاقتصادية التي تُنتج الفقر والتمييز.

في المقابل، ينطلق التوجه الليبرالي في العمل الاجتماعي من فرضية مفادها أنّ الرفاه الفردي والاجتماعي يتأثر بدرجة كبيرة بالبنى الاجتماعية والمؤسسية. ووفقاً لهذا المنظور، لا يمكن تفسير المشكلات الاجتماعية أو معالجتها بمعزل عن السياسات العامة، وسوق العمل، ونظم الحماية الاجتماعية. لذا يؤكد هذا الاتجاه على الدور المركزي للدولة في توفير شبكات الأمان الاجتماعي، ويرى أنّ الاستجابات الفردية وحدها غير كافية. ويُصنّف هذا التحليل عادة ضمن مستوى التحليل المتوسط (الميزو)، حيث يجمع بين الفرد والمؤسسة في آن واحد.

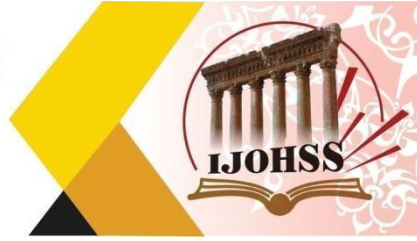
أما المنظور الراديكالي فيتبنى مقاربة كلية (ماكرو)، تُركّز على ضرورة إعادة بناء الهياكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بوصفها المصدر الجذري لعدم المساواة والظلم الاجتماعي. ويُشدّد هذا التوجه على أنّ التغيير الاجتماعي الحقيقي لا يتحقق إلا من خلال تفكيك علاقات القوة غير المتكافئة، وبناء نظام اجتماعي أكثر عدالة وديمقراطية. وغالبًا ما يوجّه هذا التيار انتقادات حادة لممارسة العمل الاجتماعي التقليدية، معتبرًا أنّ بعض أشكالها تُسهم – عن قصد أو غير قصد – في إعادة إنتاج الظلم الاجتماعي، خصوصًا حين تكون مرتبطة بجهة الدولة أو خاضعة لمنطقه البيروقراطي.<sup>8</sup>

علاوة على ذلك، يرى أنصار المنظور الراديكالي أنّ ارتباط العمل الاجتماعي بالمؤسسات الرسمية قد يُفضي إلى تكريس الفقر واللامساواة بدل القضاء عليهما<sup>9</sup>، ما يضع العاملين الاجتماعيين أمام مفارقة أخلاقية ومهنية: فهم يعملون داخل مؤسسات تسهم في إنتاج المشكلات الاجتماعية، بينما يسعون في الوقت ذاته إلى التخفيف من آثارها.

وتعود جذور هذه التوترات الأيديولوجية إلى تاريخ المهنة نفسها، حيث لا يزال الصراع قائمًا حول أولوية الممارسة على المستوى الفردي (الميكرو) مقابل الممارسة على المستوى البنوي (الماكرو). غير أنّ العديد من العاملين الاجتماعيين المعاصرين باتوا يدركون أنّ ما يميز العمل الاجتماعي بوصفه مهنة فريدة هو

<sup>8</sup> يعد التوتر بين الممارسة الفردية (الميكرو) والتدخل البنوي (الماكرو) من أكثر الإشكالات استمرارية في تاريخ العمل الاجتماعي. ففي حين تركز الممارسة الميكرو على مساعدة الأفراد والأسر في مواجهة صعوباتهم اليومية، يسعى التدخل الماكرو إلى تغيير الشروط الاجتماعية والسياسية المنتجة لهذه الصعوبات. ويعكس هذا التوتر اختلافًا في التصورات حول أسباب المشكلات الاجتماعية وسبل معالجتها.

<sup>9</sup> تذهب المقاربات النقدية إلى أنّ العمل الاجتماعي لا يقتصر على تقديم الخدمات، بل يشكّل مجالًا لإنتاج معرفة نقدية تكشف عن علاقات السلطة، وآليات الإقصاء، وعدم المساواة داخل المجتمع. ومن هذا المنظور، يصبح التدخل المهني فعلًا معرفيًا وسياسيًا في آن واحد، يساهم في مساءلة البنى الاجتماعية القائمة.



قدرته على فهم المشكلات الاجتماعية ضمن شبكة معقدة من التفاعلات بين الأفراد، والأسر، والجماعات، والمؤسسات، والمجتمعات. ويُعدّ هذا الفهم المتعدد المستويات أحد الركائز الأساسية للممارسة المهنية في العمل الاجتماعي.

### الانتقادات البنوية للعمل الاجتماعي (بيغن وكلوورد، الرأسمالية، الدولة)

تقدّم بعض المقاربات النقدية قراءة أكثر حدّة لمهنة العمل الاجتماعي، حيث تركز على التناقضات البنوية التي يواجهها العاملون الاجتماعيون داخل أنظمة الرعاية الاجتماعية، خاصة في السياق الأمريكي، وعلاقتها العضوية بالأيدولوجية الرأسمالية ومؤسساتها. ففي هذا الإطار، تناول عدد من الباحثين المأزق الفريد الذي يعيشه العمل الاجتماعي، باعتباره مهنة تسعى ظاهرياً إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، لكنها تعمل في الوقت ذاته ضمن بنى مؤسساتية تُعيد إنتاج اللامساواة.<sup>10</sup>

وفي عملهما المشترك الشهير «تنظيم الفقراء» (Regulating the Poor) (1971)، يقدّم فرانسيس فوكس بيغن وريتشارد كلوورد تحليلاً نقدياً جذرياً لدور الرفاه الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية. ويجادل الكاتبان بأن أنظمة الرعاية الاجتماعية لا تُقيّد الرأسمالية أو تحدّ من تناقضاتها البنوية، بل على العكس، تؤدي وظيفة تنظيمية تُسهّم في استقرار النظام الرأسمالي واستمراره. فالرفاه الاجتماعي، وفق هذا المنظور، يعمل كآلية لضبط الفئات الفقيرة والمهمشة، من خلال إدارة الفقر بدل القضاء على أسبابه البنوية.

ويذهب بيغن وكلوورد إلى أبعد من ذلك، حين يشيران إلى أن العاملين الاجتماعيين أنفسهم قد يتحولون – بحكم موقعهم الوظيفي – إلى أدوات غير مباشرة لضمان استمرارية النظام الرأسمالي. فهم يعملون داخل مؤسسات تُدار وفق منطق بيروقراطي يخضع لأولويات الدولة والسوق، ما يجعل تدخلاتهم محكومة بإطارات تنظيمية تحدّ من قدرتهم على إحداث تغيير اجتماعي جذري.

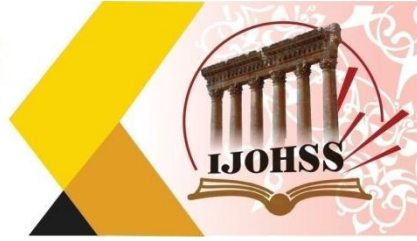
وتكمن المفارقة الأساسية هنا في أن العاملين الاجتماعيين يجدون أنفسهم في موقع مزدوج: فمن جهة، يلتزمون أخلاقياً ومهنيّاً بالدفاع عن الفئات الهشة ومناهضة الظلم الاجتماعي؛ ومن جهة أخرى، يعتمدون في معيشتهم واستقرارهم المهني على مؤسسات تُسهّم في إعادة إنتاج تلك الأوضاع غير العادلة. هذا التوتر البنوي يُنتج حالة من الازدواجية الأخلاقية والمهنية، وي طرح تساؤلات جوهرية حول حدود الممارسة المهنية داخل أنظمة غير عادلة بنويّاً.

وتكشف هذه المقاربات النقدية أن العمل الاجتماعي ليس مهنة محايدة سياسياً أو أيدولوجياً، بل هو مجال مشحون بالصراعات القيمة والخيارات السياسية، حيث تتقاطع الاعتبارات الأخلاقية مع متطلبات الدولة والسوق. ومن ثم، فإن فهم العمل الاجتماعي يستدعي تحليلاً يتجاوز مستوى التدخلات الفردية، ليشمل السياقات الاقتصادية والسياسية الأوسع التي تُحدّد شروط الممارسة وحدودها.

<sup>10</sup> يُعدّ البعد الأخلاقي عنصراً تأسيسياً في العمل الاجتماعي، حيث ترتبط الممارسة المهنية بقيم مثل الكرامة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، واحترام الاختلاف الثقافي، وهو ما يجعل المهنة تقع دائماً عند تقاطع المعرفة، والمسؤولية الأخلاقية، والسلطة المؤسسية.

<sup>11</sup> قدّم كل من فرانسيس فوكس بيغن (Frances Fox Piven) وريتشارد كلوورد (Richard A. Cloward) عملاً مشتركاً بعنوان Regulating the Poor، يُعدّ من أهم الأعمال النقدية في تحليل تاريخ ووظيفة أنظمة الرعاية الاجتماعية في الولايات المتحدة.

يُظهر هذا العمل أن سياسات الرفاه الاجتماعي لم تُصمّم بالضرورة لمواجهة الفقر أو تفويض النظام الرأسمالي، بل غالباً ما استُخدمت كآلية لتنظيم الفقراء وضبطهم سياسياً، خصوصاً خلال فترات الأزمات الاقتصادية والاحتجاجات الاجتماعية. ويوضح المؤلفان كيف ساهمت سياسات ريغان وبوش وكلينتون في تفكيك دولة الرفاه الأمريكية، مع الحفاظ في الوقت نفسه على أدوات الحد الأدنى من الضبط الاجتماعي. ويُعدّ هذا العمل مرجعاً أساسياً في النقد الراديكالي للعمل الاجتماعي.



## تعدد الروايات حول مهنة العمل الاجتماعي (الإيثار، الضبط الاجتماعي، المهنية)

تكشف المقاربات الأيديولوجية المتعددة لمهنة العمل الاجتماعي عن وجود روايات مختلفة، بل ومتعارضة أحياناً، حول طبيعة هذه المهنة وأدوارها الاجتماعية. فلا يمكن اختزال العمل الاجتماعي في سردية واحدة أو وظيفة محددة، بل هو مجال مهني وفكري تشكل تاريخياً في تقاطع مع قوى اجتماعية واقتصادية وسياسية متعددة.

فمن جهة، يرى عدد من الباحثين والممارسين أن العمل الاجتماعي مهنة تقوم أساساً على دوافع إنسانية وإيثارية<sup>12</sup>، تستند إلى قيم التضامن الاجتماعي، والدفاع عن كرامة الإنسان، والسعي إلى تحسين أوضاع الأفراد والجماعات في وضعيات هشاشة. ووفق هذا التصور، يُنظر إلى العامل الاجتماعي كفاعل أخلاقي يسعى إلى التخفيف من المعاناة الإنسانية، وتمكين الأفراد من استعادة قدراتهم على الفعل داخل مجتمعاتهم.

في المقابل، تركز رواية أخرى على الجذور التاريخية للعمل الاجتماعي بوصفه امتداداً لفعل الإحسان الذي مارسه الطبقات الوسطى، والذي سعى تدريجياً إلى التحول إلى نشاط مهني منظم. وتذهب هذه المقاربة إلى أن مسار المهنية لم يكن دائماً محايداً، بل ارتبط أحياناً بإعادة إنتاج علاقات القوة الطبقية، حيث تم تقديم المساعدة للفقراء ضمن شروط وقواعد تعكس قيم ومعايير الفئات المهيمنة اجتماعياً.

أما الرواية الثالثة، ذات الطابع النقدي الراديكالي، فتري في العمل الاجتماعي أداة من أدوات الضبط الاجتماعي، تُستخدم لإدارة الفقر والسيطرة على الفئات المهمشة بدل تمكينها فعلياً<sup>13</sup>. ووفق هذا المنظور، يُسهم العمل الاجتماعي – بقصد أو بدون قصد – في إضفاء الشرعية على النظام الرأسمالي، من خلال معالجة أعراض اللامساواة دون المساس بجذورها البنوية.

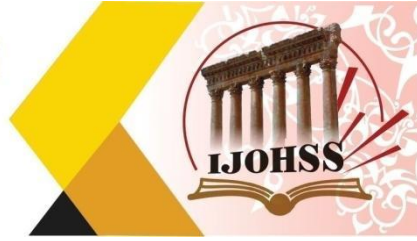
ولا تُعد هذه الروايات متناقضة بالضرورة، بقدر ما تعكس تعقيد التطور التاريخي لمهنة العمل الاجتماعي. فالتاريخ المهني لهذا المجال يُجسد، في آن واحد، عناصر الإيثار الإنساني، والسعي إلى المهنية، وممارسات الضبط الاجتماعي. ومن ثم، فإن فهم العمل الاجتماعي يتطلب مقاربة تاريخية ونقدية تعترف بتعدد هذه الأبعاد بدل السعي إلى تبسيطها أو إنكار أحدها.

ويُظهر هذا التعدد في السرديات أن العمل الاجتماعي يظل مجالاً مفتوحاً للنقاش والتأويل، وأن هويته المهنية ليست ثابتة، بل تُعاد صياغتها باستمرار في ضوء التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وهو ما يمنح المهنة طابعها الديناميكي، ويجعلها في الوقت ذاته عرضة للتوترات والصراعات الأيديولوجية.

<sup>12</sup> تمت ترجمة مصطلح altruistic إلى «الإيثار»، ويُقصد به القيام بسلوك موجه نحو منفعة الآخرين دون انتظار مقابل مباشر.

وتوظيف الكاتبة لهذا المفهوم يعكس الاعتقاد السائد بأن مهنة العمل الاجتماعي تقوم على دوافع إنسانية وأخلاقية، حيث يُنظر إلى العاملين الاجتماعيين باعتبارهم مدفوعين برغبة أخلاقية في مساعدة الآخرين. غير أن هذا التصور يخضع للنقد، خاصة من قبل المقاربات الراديكالية التي ترى أن الإيثار وحده لا يكفي لفهم تعقيدات المهنة داخل بنى السلطة والهيمنة.

<sup>13</sup> ينتقد عدد من الباحثين ارتباط العمل الاجتماعي بمؤسسات الدولة، معتبرين أن هذا الارتباط يضع المهنة في موقع إشكالي بين منطق المساعدة ومنطق الضبط الاجتماعي، خاصة في سياقات النيوليبرالية وتقليص دولة الرفاه (Foucault, 1977; Garrett, 2018).



## تاريخ مهنة العمل الاجتماعي (القرن 19 – الصفة الجديدة) History of profession of social work

يعود تشكّل مهنة العمل الاجتماعي، بوصفها نشاطاً منظماً، إلى أواسط القرن التاسع عشر، في سياق تحولات اجتماعية واقتصادية عميقة رافقت صعود المجتمع الصناعي في أوروبا والولايات المتحدة. ففي تلك المرحلة، بدأت الدولة، إلى جانب بعض المؤسسات الخيرية، في إنشاء تنظيمات تُعنى بالأشخاص المعتمدين على الإعاقة، مثل المرضى العقليين، والأطفال الفقراء، والأشخاص في وضعية إعاقة. وقيل هذا التدخل المؤسسي، كانت الكنائس المحلية والجمعيات الإحسانية التقليدية تضطلع بالدور الأساسي في معالجة المشكلات الاجتماعية.

غير أن هذه البنى التقليدية سرعان ما أظهرت محدوديتها، خصوصاً مع نهاية القرن التاسع عشر، حيث فشلت العديد من المؤسسات التي كانت تُدار آنذاك في توفير رعاية ملائمة للفئات الهشة. وفي هذا السياق، برزت حركتان اجتماعيتان شكّلتا منعطفاً حاسماً في تاريخ العمل الاجتماعي، من خلال تقديم مقاربات جديدة للتعامل مع الفقر والهشاشة الاجتماعية، وهما: جمعيات تنظيم الإحسان<sup>14</sup> (Charity Organization Societies) وحركة بيوت الاستقرار<sup>15</sup> (Settlement House Movement).

وقد نشأت كلتا الحركتين في إنجلترا، لكنهما حملتا رؤيتين أيديولوجيتين متباينتين. فقد تبنّت جمعيات تنظيم الإحسان منظوراً محافظاً، يرى أن الفقر ناتج أساساً عن خلل في السلوك الفردي، وأن معالجته تمر عبر إصلاح أخلاقي وسلوكي للفرد. وبناءً على ذلك، ركز هذا الاتجاه على التدخل الفردي، وعلى تصنيف المحتاجين، وتحديد من يستحق المساعدة ومن لا يستحقها.

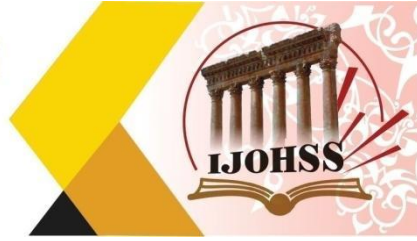
في المقابل، ارتكزت حركة بيوت الاستقرار على رؤية أكثر راديكالية، أكدت أن الفقر ليس نتيجة إخفاق فردي، بل نتاج بنى اجتماعية واقتصادية غير عادلة. ودعت هذه الحركة إلى ضرورة إحداث تغيير اجتماعي شامل، من خلال تحسين ظروف السكن والعمل، وتعزيز التعليم، والانخراط المباشر في الأحياء الفقيرة. وقد ساهم هذا التوجه في ترسيخ البعد المجتمعي والإصلاحي في العمل الاجتماعي.

مثّلت هذه التوترات المبكرة بين المنظور المحافظ والمنظور الراديكالي الأساس الذي ستتطور عليه مهنة العمل الاجتماعي لاحقاً، حيث ظل الصراع قائماً بين التركيز على المسؤولية الفردية من جهة، والسعي إلى التغيير البنيوي من جهة أخرى. ويمكن القول إن هذا الانقسام الأيديولوجي لم يكن عارضاً، بل شكّل أحد المحركات الأساسية لتطور المهنة، وأسهم في بلورة هويتها النظرية والمهنية.

<sup>14</sup> هي جمعيات خيرية ظهرت في غرب الولايات المتحدة خلال سبعينيات القرن التاسع عشر (حوالي 1870)، وكان هدفها تحسين تنظيم وتنسيق الخدمات الاجتماعية المقدّمة للفقراء.

اعتمدت هذه الجمعيات مقاربة محافظة ترى أن الفقر ناتج بالأساس عن اختلالات سلوكية فردية، ولذلك ركّزت على التقويم الأخلاقي والانضباط بدل التغيير البنيوي. وقد شكّلت هذه الحركة أحد الجذور التاريخية لمهنة العمل الاجتماعي. (المصدر: موسوعة تاريخ شيكاغو)

<sup>15</sup> يمكن ترجمة هذا المصطلح إلى «حركة بيوت التسوية»، وهي حركة اجتماعية إصلاحية ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر. تمثّلت في إنشاء مؤسسات اجتماعية داخل أحياء المهاجرين والطبقات العاملة، حيث كان العاملون الاجتماعيون يعيشون وسط السكان ويقدمون خدمات تعليمية وصحية وثقافية. تميّزت هذه الحركة بتبنيها منظوراً إصلاحياً وراديكالياً، ركّز على معالجة أسباب الفقر البنيوية، وليس فقط نتائجه الفردية. (المصدر نفسه)



## العمل الاجتماعي ومسألة المهنية: نقد فليكسنر وبناء القاعدة المعرفية

شكلت مسألة الاعتراف بالعمل الاجتماعي كمهنة مستقلة إحدى القضايا المركزية في مسار تطور هذا الحقل. وفي هذا السياق، يُعدّ تدخل التربوي الأمريكي أبراهام فليكسنر (1866-1959)<sup>16</sup> محطة مفصلية في النقاش حول مهنة العمل الاجتماعي. ففي سنة 1915، صرّح فليكسنر بأن العمل الاجتماعي لم يبلغ بعد مرتبة المهنة، وذلك بسبب افتقاره إلى معايير مهنية واضحة، وقاعدة معرفية علمية مستقلة، ومهارات متخصصة قابلة للتدريس والتقويم.

جاء هذا النقد في سياق أوسع، إذ كان فليكسنر قد اشتهر سابقاً بتقريره<sup>17</sup> الصادر سنة 1910 حول إصلاح التعليم الطبي في الولايات المتحدة وكندا، والذي دعا فيه إلى رفع المعايير الأكاديمية والمهنية لكليات الطب. وقد استُخدمت استنتاجاته المتعلقة بالمهنة الطبية لاحقاً كنقطة مرجعية في تقييم مهنة أخرى، من بينها العمل الاجتماعي. ووفقاً لفليكسنر، فإن أي مهنة، كي تحظى بالاعتراف الاجتماعي والمؤسسي، يجب أن تستند إلى معرفة علمية منظمة، وأن تتطلب تعليماً متخصصاً، وأن تمتلك أدوات ومهارات مهنية خاصة بها.

أثار هذا الطرح نقاشاً واسعاً داخل أوساط العمل الاجتماعي، إذ اعتبره البعض انتقاصاً من قيمة الممارسة الاجتماعية، في حين تعامل معه آخرون باعتباره حافزاً لتطوير المهنة. فعلياً، شكّل نقد فليكسنر دافعاً قوياً لتسريع عملية مأسسة العمل الاجتماعي، من خلال توحيد أشكال الممارسة، وتطوير برامج تعليمية متخصصة، وبناء قاعدة معرفية تستند إلى البحث العلمي والخبرة الميدانية.

تزامن هذا التحول مع توسع سياسات الرعاية الاجتماعية، خاصة خلال ثلاثينيات القرن العشرين، في أعقاب الكساد العظيم. ففي تلك المرحلة، برزت الحاجة إلى فاعلين مهنيين مؤهلين قادرين على إدارة برامج الدعم الاجتماعي، والتدخل في أوضاع الفقر والبطالة والهشاشة. وكنتيجة لذلك، أصبح العمل الاجتماعي يُنظر إليه تدريجياً بوصفه مهنة شرعية، ذات دور أساسي في تنفيذ السياسات الاجتماعية للدولة.

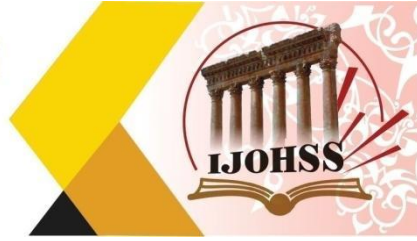
ومع ذلك، لم يكن هذا الاعتراف خالياً من التوترات، إذ أدى الارتباط المتزايد بين العمل الاجتماعي وأجهزة الدولة إلى إعادة إنتاج إشكاليات جديدة، تتعلق بعلاقة المهنة بالسلطة، وبحدود استقلاليتها النقدية. فقد وجد العاملون الاجتماعيون أنفسهم في موقع مزدوج: من جهة، يسعون إلى دعم الفئات الهشة والدفاع عن العدالة الاجتماعية؛ ومن جهة أخرى، يعملون داخل مؤسسات قد تسهم، عن قصد أو دون قصد، في إعادة إنتاج اللامساواة الاجتماعية.

## العمل الاجتماعي والدولة: من الصفة الجديدة إلى توسع الرعاية الاجتماعية

شهدت مهنة العمل الاجتماعي تحوُّلاً نوعياً خلال فترة الكساد العظيم في ثلاثينيات القرن العشرين، حيث تزامن توسُّعها مع إعادة تعريف دور الدولة في المجال الاجتماعي. فقد أدت الأزمة الاقتصادية الحادة إلى تفاقم معدلات الفقر والبطالة، ما فرض على الدولة الأمريكية التدخل المباشر عبر إنشاء برامج واسعة للرعاية

<sup>16</sup> أبراهام فليكسنر (1866-1959) هو تربوي أمريكي اشتهر بدوره الحاسم في إصلاح التعليم الطبي في الولايات المتحدة وكندا. وقد شكّلت أفكاره مرجعاً في النقاش حول معايير الاحتراف المهني، بما في ذلك العمل الاجتماعي.

<sup>17</sup> يشير تقرير فليكسنر (1910) إلى تقرير تاريخي حول تعليم الطب في الولايات المتحدة وكندا، دعا فيه إلى رفع معايير القبول والتكوين، والاعتماد على البحث العلمي والتدريب السريري الصارم. وقد استُخدمت استنتاجاته لاحقاً في نقاشات مهنية حول ما إذا كان العمل الاجتماعي يستوفي شروط "المهنة" بالمعنى العلمي.



الاجتماعية. في هذا السياق، لعب العمل الاجتماعي دورًا محوريًا في تصميم هذه البرامج وتنفيذها، وفي إدارة الاستجابات المؤسسية للأزمة الاجتماعية.

ظهر عدد من العاملين الاجتماعيين في هذه المرحلة في مواقع قيادية داخل أجهزة الدولة. فقد ترأس هاري هوبكينز (1890-1946)، وهو أحد أبرز العاملين الاجتماعيين في تلك الفترة، برنامج الإغاثة الطارئة في إدارة الرئيس فرانكلين ديلاانو روزفلت، بينما شغل عامل اجتماعي آخر، جون هوي (1892-1968)، منصب رئيس المكتب الفيدرالي للمساعدة الاجتماعية. وتعكس هذه المواقع القيادية المكانة المتنامية للعمل الاجتماعي بوصفه فاعلاً أساسياً في صياغة وتنفيذ السياسات الاجتماعية.

أدى إقرار قوانين الصفقة الجديدة<sup>18</sup> وقانون الضمان الاجتماعي إلى ترسيخ التصور الإيجابي العام لمهنة العمل الاجتماعي، كما أسهم في توسع غير مسبوق في حجم الممارسة ونطاقها. فقد ازدادت أعداد العاملين الاجتماعيين، وارتفعت المتطلبات الأكاديمية والمعايير المهنية، وأصبحت الخدمات الاجتماعية جزءاً من البنية المؤسسية للدولة الحديثة. في هذه المرحلة، تبنت المهنة خطاباً إصلاحياً قوياً، يرى في التدخل الاجتماعي أداة مركزية لتحقيق العدالة الاجتماعية والتماسك المجتمعي.

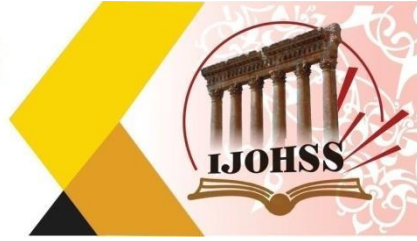
امتد هذا الزخم من أربعينيات القرن العشرين إلى سبعينياته، حيث عرف العمل الاجتماعي توسعاً داخل مجالات متعددة، من رعاية الأطفال إلى الصحة العقلية، ومن الإسكان إلى مكافحة الفقر. وتميزت هذه الفترة بتسيخ المشروع المهني للعمل الاجتماعي، وبمحاولات مستمرة لتعزيز استقلاله العملية وتطوير أدواته المنهجية.

غير أن هذا المسار لم يكن خطياً. فقد واجهت مهنة العمل الاجتماعي تحديات كبيرة خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، نتيجة التحولات النيوليبرالية، وتراجع الإنفاق الحكومي على الخدمات الاجتماعية. أدت سياسات التقشف وتخفيض الدعم الفيدرالي إلى إضعاف مؤسسات الرعاية الاجتماعية، ما وضع العاملين الاجتماعيين أمام أوضاع مهنية معقدة، تتسم بندرة الموارد، وتزايد الطلب الاجتماعي، وتعقد المشكلات الاجتماعية.

في الوقت ذاته، برزت مشكلات اجتماعية جديدة، مثل ارتفاع معدلات السجن، وانتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، وتفاقم ظواهر التشرد والعنف الأسري. وقد جرى تسييس العديد من هذه القضايا، ما زاد من الضغوط الواقعة على العمل الاجتماعي، سواء من حيث دوره المهني أو من حيث موقعه داخل الصراعات السياسية والاجتماعية.

أدت سياسات اللامركزية التي سادت خلال التسعينيات إلى تحميل الولايات مسؤوليات أكبر في مجال الرعاية الاجتماعية، مقابل تراجع دور الحكومة الفيدرالية. وكان لهذا التحول أثر مباشر على مهنة العمل الاجتماعي، تمثل في تقليص التمويل، وتزايد الاعتماد على حلول محلية وبدائل إبداعية للتدخل الاجتماعي. وفي هذا السياق، وجد العاملون الاجتماعيون أنفسهم مطالبين بإعادة التفكير في استراتيجياتهم المهنية، وفي سبل التوفيق بين متطلبات الممارسة اليومية ومبادئ العدالة الاجتماعية التي تؤسس للمهنة.

<sup>18</sup> تمت ترجمة New Deal إلى «الصفقة الجديدة»، وهي مجموعة من السياسات والبرامج الحكومية التي أطلقها الرئيس الأمريكي فرانكلين ديلاانو روزفلت بين 1933 و1938 لمواجهة آثار الكساد العظيم. وقد لعبت هذه السياسات دوراً محورياً في توسيع تدخل الدولة في المجال الاجتماعي، وأسهمت بشكل مباشر في ترسيخ مهنة العمل الاجتماعي داخل مؤسسات الدولة.



## تدريس العمل الاجتماعي وبناء المسارات الأكاديمية (BSW – MSW – DSW)

يتم تكوين العاملين الاجتماعيين عبر مسارات تعليمية متعددة، تشمل درجة البكالوريوس ((BSW)، ودرجة الماجستير ((MSW)، ودرجة الدكتوراه (DSW) أو (PhD)، حيث يوفّر كل مستوى عمقاً مختلفاً من المعرفة النظرية والمهارات التطبيقية. ويعكس هذا التدرج التعليمي الطابع المركّب لمهنة العمل الاجتماعي، التي تجمع بين التحليل العلمي والممارسة المهنية.

يُشار عادة إلى الحاصلين على درجة البكالوريوس في العمل الاجتماعي بوصفهم "عمال الخطوط الأمامية"، إذ يتبنّون مقاربة عامة للمشكلات الاجتماعية، ويعملون في مجالات متعددة تشمل رعاية الأطفال، وحماية الطفولة، والعنف الأسري، وخدمات الشيخوخة، والمؤسسات المجتمعية المختلفة. ويركّز هذا المستوى التعليمي على إكساب الطلبة مهارات التدخل المباشر، وفهم السياقات الاجتماعية التي تنتج الهشاشة وعدم المساواة.

أما التعليم على مستوى الماجستير، فيُعدّ العاملين الاجتماعيين كمارسين عامّين ذوي كفاءة متقدمة، مع إمكانية التخصّص في مجالات محددة. وتشمل هذه التخصصات، على سبيل المثال لا الحصر: الممارسة الإكلينيكية، والعمل مع الأطفال والشباب والأسر، وعلم الشيخوخة، وتعاطي المخدرات، والسياسات العمومية، والإدارة غير الربحية. ويتميّز هذا المستوى بدمج أعمق بين النظرية والتطبيق، وبالتركيز على التحليل النقدي للسياسات الاجتماعية وأطر التدخل المهني.

يوفّر التعليم على مستوى الدكتوراه في العمل الاجتماعي تكويناً معرفياً ومهنيّاً متقدماً، يؤهّل الخريجين لتولّي مناصب قيادية داخل وكالات العمل الاجتماعي، أو للعمل كباحثين وأعضاء هيئة تدريس في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي. كما يركّز هذا المستوى على إنتاج المعرفة العلمية، وتطوير النظريات، والمساهمة في النقاشات الأكاديمية والسياساتية المرتبطة بالمهنة.

تم تأسيس مجلس تعليم العمل الاجتماعي ( Council on Social Work Education – CSWE) سنة 1952،<sup>19</sup> ليكون الجهة المسؤولة عن اعتماد البرامج التعليمية في مدارس العمل الاجتماعي داخل الولايات المتحدة. ويُعدّ المجلس الهيئة المعتمدة لبرامج البكالوريوس والماجستير، حيث يشرف على تطوير المناهج وضمان جودتها، بما ينسجم مع المعايير المهنية والأكاديمية المعترف بها.

## الصورة العامة للعمل الاجتماعي في المجال العمومي SOCIAL WORK'S PUBLIC IMAGE

يُقدّر عدد الحاصلين على شهادات في العمل الاجتماعي اليوم بحوالي 600.000 شخص. يُعدّ العمل الاجتماعي وفقاً لمكتب إحصاءات العمل<sup>20</sup> في الولايات المتحدة، من بين أسرع المهن نمواً. وقد أسهم هذا التوسع

<sup>19</sup> تأسس مجلس تعليم العمل الاجتماعي سنة 1952، وهو منظمة وطنية غير ربحية تشرف على اعتماد برامج تعليم العمل الاجتماعي في الولايات المتحدة.

يمثل المجلس أكثر من 2500 عضو، ويشرف على ما يزيد عن 750 برنامجاً معتمداً في البكالوريوس والماجستير، إضافة إلى دعم البحث العلمي وضمان جودة التكوين المهني.

<sup>20</sup> مكتب إحصاءات العمل (BLS) هو مؤسسة حكومية أمريكية تأسست سنة 1884 في واشنطن، ويُعد المرجع الرسمي لإحصاءات سوق العمل.

يوفّر المكتب بيانات دقيقة حول التوظيف، والأجور، واتجاهات المهن، ويُعتمد عليه في تحليل تطور مهنة العمل الاجتماعي ونموها.

الملحوظ في زيادة اهتمام الرأي العام بالمهنة، سواء بصورة إيجابية أو سلبية، كما ساهم في تكثيف النقاش حول دورها وحدودها ووظائفها داخل المجتمع.

غير أن الصورة العامة لمهنة العمل الاجتماعي غالبًا ما تتسم بالالتباس وسوء الفهم. فقد أظهرت إحصاءات تعود إلى سنة 2000 أن حوالي 845.000 فرد يعزفون أنفسهم كعاملين اجتماعيين، رغم أن عددًا كبيرًا منهم لا يتوفر على تكوين أكاديمي رسمي في هذا المجال. ويُعزى هذا الخلط إلى كون العديد من العاملين في حقل الخدمات الإنسانية يقدمون أنفسهم بوصفهم عاملين اجتماعيين، دون أن يكونوا قد تلقوا تعليمًا معتمدًا في العمل الاجتماعي.<sup>21</sup>

يساهم هذا الوضع في انتشار تصورات غير دقيقة حول طبيعة مهنة العمل الاجتماعي، ونطاق تدخلها، ومستوى التأهيل العلمي الذي تتطلبه. كما يؤدي إلى تقويض الجهود الرامية إلى ترسيخ الهوية المهنية للعاملين الاجتماعيين، وإلى إضعاف مكانة التكوين الأكاديمي المتخصص داخل هذا الحقل.

استجابةً لهذه الإشكالات، عمدت عدة ولايات أمريكية إلى سنّ تشريعات تهدف إلى حماية لقب "العامل الاجتماعي"، وقصر استخدامه على الأفراد الذين أتموا دراستهم في مؤسسات تعليمية معتمدة في العمل الاجتماعي. ويهدف هذا الإجراء إلى تعزيز الاحترافية، وضمان جودة الممارسة، وحماية المستفيدين من تدخلات غير مؤهلة.

تم تأسيس الجمعية الوطنية للعاملين الاجتماعيين (National Association of Social Workers - NASW) في هذا السياق سنة 1955، باعتبارها أكبر منظمة مهنية تمثل العاملين الاجتماعيين. وتضطلع الجمعية بدور محوري في دعم المهنة، إذ تعمل على تعزيز النمو المهني لأعضائها، وتطوير المعايير الأخلاقية والمهنية، والدفاع عن سياسات عمومية عادلة وإنسانية. ووفقاً للجمعية، فإن رسالتها تتمثل في "تعزيز النمو المهني وتطوير أعضائها، من أجل إبداع معايير مهنية والحفاظ عليها، والنهوض بسياسات عمومية سليمة" (NASW، 2006).

## Bibliography

1. Axinn, J., & Stern, M. J. (2001). *Social welfare: A history of the American response to need*. Allyn and Bacon.
2. Bailey, R., & Brake, M. (1976). *Radical social work*. Edward Arnold Publishers.
3. Cloward, R. A., & Piven, F. F. (1977). The acquiescence of social work. *Society*, 14(2), 55–63.
4. Jansson, B. (2001). *The reluctant welfare state*. Brooks/Cole.
5. Katz, M. (1986). *In the shadow of the poorhouse: A social history of welfare in America*. Basic Books.
6. Leiby, J. (1979). *A history of social welfare and social work in the United States*. Columbia University Press.
7. Lubove, R. (1965). *The professional altruist: The emergence of social work as a career, 1890–1930*. Harvard University Press.

<sup>21</sup> تشهد مهنة العمل الاجتماعي اليوم تحولات عميقة بفعل العولمة، والهجرة، والرقمنة، وتغير أنماط الهشاشة الاجتماعية، ما يعيد طرح أسئلة جديدة حول دور المهنة وحدودها.

8. National Association of Social Workers. (2006). National Association of Social Workers. <http://www.naswdc.org>
9. Piven, F. F., & Cloward, R. A. (1971). Regulating the poor. Pantheon Books.
10. Reisch, M., & Andrews, J. L. (2001). The road not taken: A history of radical social work in the United States. Brunner-Routledge.
11. Trattner, W. (1979). From poor law to welfare state: A history of social welfare in America. Free Press.